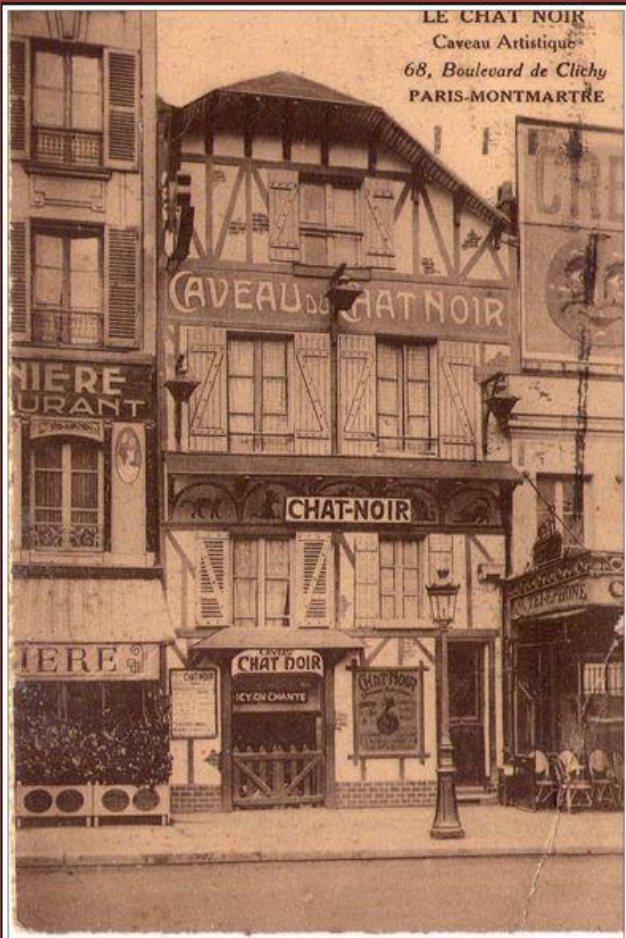


ألق نظرة...

سأبهرك كثيرًا عند زيارتك لي في المخزن التاريخي Proviant-Magazin في مدينة ماينتس. أنا بعيد كل البعد عن الصورة النمطية للأرشيف المغطى بالأتربة. فأنا كلاسيكي على الرغم من صغر سني، إن صح التعبير. وأسمح لنفسني بالظهور في أجمل حُلة وأناقة على هيئة متحف يفترش على مساحة تبلغ تقريبًا ألف متر مربع. مخصوصًا لك بالطبع! وأخيرًا أودي مهمة موكلة لي. لخدمة الصالح الثقافي العام. أحمل بين طياتي نوعًا فنيًا مكتمل الأركان (جانر)، أي شكل فريد من أشكال الفن إن صح التعبير! سماني مؤسس "مركز توثيق السخرية باللغة الألمانية" وسجلني هكذا. وفور وصوله إلى مدينة ماينتس عام 1961 سماني بكل فخر "المؤسسة الألمانية لأرشفة الأعمال المسرحية".



الموظفون العاملون عندي يهتمون في جميع أنحاء العالم بأشكال وأوجه الهجاء المختلفة. ولهذا السبب نستقبل الكثير من الناس من دول مختلفة. في الآونة الأخيرة أتت طالبة من موسكو لزيارتنا والتلقيب عن مواد علمية من عشرينات القرن الماضي لمساعدتها في كتابة رسالة الدكتوراه، وكذلك أستاذة جامعية من اليابان كانت مهتمة جدًا بالأعمال المسرحية في المنفى. وذات مرة قضت طالبة دكتوراه من جامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية تسعة أشهر كاملة تغوص في أعماق الأرشيف حتى تتمكن من الكشف عن الدور الذي لعبه الموسيقار في العصور الوسطى باعتباره صاحب السبق في ظهور الشاعر والملحن السياسي. وعادة ما تعكس الطلبات الكتابية التي تردني من جميع أنحاء العالم بشكل منتظم الاهتمام الكبير والرغبة في الكشف عن كنوزي. ولهذا السبب تمكنت من افتتاح ما يزيد

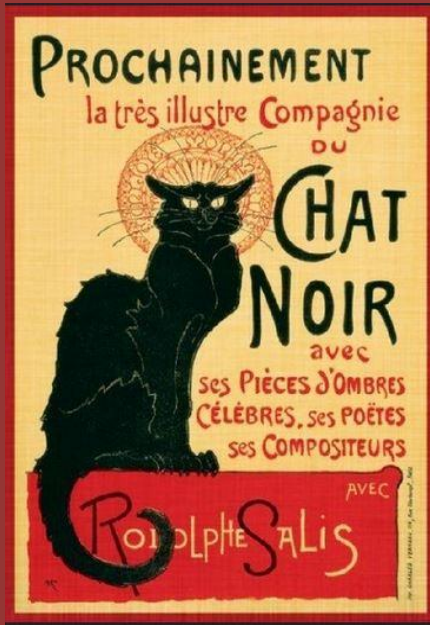


عن مائة وخمسين معرضًا منذ بداية القرن الحادي والعشرين. في سبع دول أوروبية، ومن بينها فرنسا. تحديدًا في مؤسسة Maison Heinrich Heine في الجامعة الدولية في باريس: LE MONDE, UN CABARET! Les débuts du cabaret littéraire en Allemagne et en France.

مونيخ، وتولوز، وليون، وديجون. كما انطلقنا بحملة "100 عام من العمل المسرحي في ألمانيا" وانتشرنا في كافة البلدان الناطقة بالألمانية من ألتزي بألمانيا إلى زيورخ بسويسرا. هذه الحملة تكشف بشكل كبير عن الأسرار المخبأة بداخلي: النوع الفني (جانر)! وأوجهه، وقصته. فالأمر منصب على الفنانين والفنانات. ومنصب أيضًا بشكل خاص على الأعمال المسرحية السياسية الأدبية باعتبارها شكل من أشكال الفن الذي يهدف إلى إرساء دعائم الديمقراطية والحرية. وكذلك يهتم بمؤلفيه، وقصص حياتهم. وكثيرًا ما كانت تلك القصص مليئة بالمعاناة والألام. حيث كان التركيز في ذلك مُسلطًا على أهمية تلك القصص بالنسبة للأشخاص المهتمين عبر الزمن. للجمهور في الحقبة الفرنسية المزدهرة، والعصر الإمبراطوري، وفي الفترة ما بين النهضة والرقابة، وما بين الحرب العالمية الأولى والثانية، وما بين الديمقراطية والدكتاتورية، وسياسة السيادة العسكرية والفاشية. كان الأمر يتعلق بفن البقاء، داخل المنفى وخارجه، ما بين الأساليب والكراسي، يتعلق بتقافتنا، وتغييرها، يتعلق بالتعليم، وبالطبع يتعلق بالفكاهة والمرح، اليوم والبارحة. الضحك والسخرية من أنفسنا ومن الآخرين. الأمر يتعلق بمعالم وأشكال السخرية ولغتها على مدار

العصور والأزمان. وكذلك يتعلق بالدعابة وشعر مفهوم "البشر، كل البشر" (بالإنجليزية: *Human, All Too Human*) كما يتحدث عن المعقول واللامعقول. عن نقد الحاضر بصورة فنية، وأخيرًا وليس آخرًا، يهتم المسرح كذلك بالترفيه، منذ البداية. يتحدث كذلك عن الحب! وقال الفيلسوف الأمريكي جورج شتاينر في هذا السياق إن الجمع يُعد شكلًا من أشكال الحب.

إن الخليط الذي نشأ من مختلف الفنون المسرحية والذي أعطى أهمية كبيرة للأعمال المسرحية لم يظهر بصورة رسمية إلى النور إلا منذ أواخر القرن التاسع عشر. هذا الخليط المميز يُرمز إليه بمصطلح جميل بالفرنسية؛ أهو وهو "Cabaret". فمن ناحية يعني لغويًا الحانة الصغيرة، ومن ثم فإن المصطلح يحمل صفة المودة في طياته. ومن ناحية أخرى يُقصد به طبق السلطة الغني بأنواع المختلفة، أي طبق المقبلات الغنية (بالفرنسية: Hors d' Oeuvre) Platte وعليه فإن الأنواع المختلفة في طبق السلطة تعني هنا المبادئ المسرحية المختلفة؛ من الموسيقى، والمسرح، والإنشاد، والرقص، والإسكتش، والرسم. وعلى نهج بعض الأسلاف من أمثال الأعمال المسرحية للقتلة المحترفين (بالألمانية: Cabarets des Assassins)، التي عرضت أناشيدها شعبية عن القتل، سار أيضًا رودولف سالييس، الذي كان رسامًا في الأصل، وذات ليلة في خريف عام 1881 في "ملهى القط الأسود" الكائن في حي مونمارتر بباريس وقف رودولف على برميلٍ وألقى على جمهوره الكريم محاضرات عن بعض الفنانين. وهذه اللحظة كانت الساعة التي أنبأت عن ميلاد الأعمال المسرحية الأدبية التي تنقد الأحداث المعاصرة، وهو النوع الذي عرفه العالم قديمًا وما زال مستمرًا حتى يومنا هذا!



فكان رودولف سالييس هو مؤلف الأعمال المسرحية الفنية "أرتيستيك" وكان الرائد في هذا المجال. حيث كان يمثل الصلصة التي تربط بين جميع أجزاء الطبق ببعضها، أي جمع بين الأشكال الأدبية للمسرحية. عُرف عن جلساته أنها سيئة السمعة! أحيانًا تكون مهينة، وأحيانًا عدوانية شأنها شأن المقطوعات الموسيقية شانسون (Chansons) المُقدّمة. وهذا تحديدًا ما جذب الجمهور الباريسي المتقف. وسرعان ما ظهرت النخبة الأدبية "Butte sacré" إلى النور. وتبعهم سياسيون وأرستقراطيون. مثل فيكتور هوجو وإميل زولا؛ والمناضل من أجل الحرية الإيطالي جوزيبي غاريبالدي وكذلك الأمير جيروم بونابرت ابن أخ نابليون الكبير وابن عم نابليون الصغير. ظهر العديد من المطربين والملحنين والمتكلمين من ذوي المواهب العظيمة، وأصبح أغلبهم فيما بعد من المشاهير، مثل أريستيد برانت ويافيت غيلبرت، التي تُعد أول مغنية كبيرة في المسرح الفرنسي. وأصل نظيرها أريستيد مسيرته المهنية في حانته "ميرلتون" من خلال الحملات الاجتماعية النقدية التي شنّها على شكل مقطوعات موسيقية وجهها ضد ازدواجية معايير الطبقة الغنية، ويفضل لوحة رسمها أنري تولوز لوترك استمرت شهرته العالمية إلى يومنا هذا. وفي الأونة الأخيرة وجدت لوحتان من مقهى القط الأسود يرجع تاريخهما إلى عام 1895 طريقهما أيضًا إلى خزانات حفظ اللوحات الخاصة بي، وانضمنا إلى بقية اللوحات التي يبلغ عددها تقريبًا 20 ألف لوحة من مختلف عصور القرن

العشرين. كل هذا بدأ من جزء من المجتمع كان شغوفًا جدًا بالفن والثقافة. حيث كان الفن المسرحي، على الأقل بالنسبة للبوهميين، الوسط والنوع المفضل. رَوَّج لهذا النوع الكاتب أوتو يوليوس بيرباوم كما يلي:

"إنها نهضة جميع الفنون والحياة على خشبات المسارح الصغيرة! سوف نخلق نوعًا جديدًا من الفن! سوف نصنع البطل الخارق على خشبة المسرح! سنغير معالم هذا العالم السخيف!" وكان يقصد كل حرف قائله بجدية! ولكن للأسف قام آخرون بتغيير معالم العالم. ومع ذلك كانت توجد أشياء جديدة في عام 1900! حيث كان هذا عصر النهضة، عصر التفاؤل: الإنسان باعتباره كائنًا ملقى في طيات الزمن. والعالم باعتباره مسرحًا للفنون! كما هو الحال مع حركة الفن الجديد انبثقت حركة جديدة منظمة على هيئة مجموعة موسيقية (en vogue) وأصبحت موجة سرعان ما غطت كافة أرجاء العاصمة. هناك حقق بارون إيرنست فولتسوجن نجاحًا بفرقة الموسيقى التي تحمل اسم (Über-Brett) في 18 يناير 1901، أي في الذكرى السنوية الثلاثين لتأسيس المملكة. تم أرشفة اللوائح الداخلية للمؤسسة.

وسرعان ما ظهرت مسرحية "الجلادين الأحد عشر" (بالألمانية: Elf Scharfrichter) ودخلت المشهد، وتُعد تلك المسرحية أول مسرحية سياسية في ألمانيا. انضم فرانك فيديكيند إلى مسرحية الجلادين، مثلما فعل مارك هنري القادم من باريس. ولهذا كانت المسرحية تستقي مادتها من ناحية الأم من فرنسا، ومن ناحية الأب من الرايخ الألماني. على المستوى الأوروبي كانت متشابكة ومترابطة مثل النبلاء القدامى... ثم تواترت الأحداث حدث تلو الآخر دون توقف! ففي عام 1901 أسست أربعين مؤسسة فقط على ضفاف نهر سبيري بألمانيا اتسمت بالطابع الأدبي المسرحي. وفي فيينا بالنمسا أفتتحت مسارح (Zum lieben Augustin - Nachtlicht - Fledermaus). أسست فريدا شترينديبيرج، التي أنجبت طفلها الأول من أوجوست شترينديبيرج والثاني من فرانك فيديكيند، أول مسرح في لندن. وقبل ذلك كان يوجد "كواتر غاتس"



(El quatre Gats) في برشلونة. بدءًا من مدينة كراكوف ببولندا، مرورًا بوارسو، وبودابست، ومدينة سانت بطرسبرغ في روسيا، وصولاً إلى موسكو نشأت مسارح كثيرة على نهج رواد هذا المجال من فرنسا والرايخ الألماني. حُكم على أحد المسارح بالفشل سريعًا بعد افتتاحه بوقتٍ قليلٍ وذلك لأنه كان يفتقر إلى المهارة التجارية والأيد المترسمة في العروض التي تُقدم. ولكن الازدهار المسرحي ظل ثابتًا ومستمرًا. في بادئ الأمر. أما بالنسبة للشكل الجديد للفن فكان مسرح الحانة الصغير سمة مميزة له، مثلما كان الوضع في باريس، حيث كان مسرح ما يُعرفوا "بالجولياتيين". بفضل



تحقق حلم البوهيمي الفنان: عرض وتقديم الأعمال الخاصة بهم، بكل حرية وبعيدًا عن المشهد الفني الرتيب. الجمهور منبهر من وضوح وشفافية هذا النوع الفني على خشبة المسرح: يقدم المسرح للجمهور عرضًا ماء العمل المسرحي نفسه يخاطب الجمهور بصورة مباشرة! كانت أجور المشاركين في تلك العروض قليلة جدًا، وأحيانًا منعدمة. حيث كان أغلبهم يحصلون على أجورهم بصورة عينية، ليس على هيئة نقود. أو تم جمعها. وبمناسبة شعر الشعراء الجواله: ترجع جذور رواد هذا النوع من الأدب إلى أعماق العصور الوسطى. كانت عبارة عن أعمال أدبية ساخرة، وأغاني عن الحب والخمر لأصحابها المعروفين "بالشعراء الأوائل". وفي العمل "Arche Nova" لمؤلفه هانز ديتر تم إبراز دور "المؤلف المجهول (Archipoeta) بإحدى أغانيه من القرن الثاني عشر. كما تم اكتشاف أهم مجموعة أدبية تضم ما يقرب من ثلاثمائة أغنية في عام 1803 في قصر بينديكتيون وسُميت "أغاني من بوين"، واكتسبت شهرة عالمية من خلال طريقتها المبتكرة الجديدة في التلحين: كارمينا بورانا. شعر الشعراء الجواله على هيئة مقطوعة أوراتوريو حديثة. أصبح خالدًا بفضل المقطوعات الموسيقية الرائعة للملحن كارل أورف.

ومع ذلك فإن ظهور البوهيمي الفنان نفسه محدد بزمن. ولهذا السبب فإن أساس عمل مسارح الفن الصغيرة الوليدة قائم على اللحظة واللحظة. وحدها

مجلة (Simplicissimus) البافارية هي التي حققت نجاحًا على المدى الطويل. ترأست هذه المجلة سيدة الأعمال العيقرية: كاتي كوبوس التي تمكنت من الربط بين الفن والتجارة. تمكن مسرح زيمبل من الوقوف على قدميه والصمود لمدة 65 عامًا، في الفترة من 1903 إلى 1968 - وهذه الفترة لم يستطع مسرح ألماني آخر من الوصول إليها حتى يومنا هذا. ومن تمكن أصلاً من السير على هذا المنوال قبل الحرب العالمية الأولى؟! الرب والعالم والنخبة البافارية! السياح من أوبيرسي، وأمير ويلز. القيصر فرديناند من بلغاريا. الملك البلجيكي! أباطرة الصناعة والأرستقراطيون المليون. وبلهيلم فويجت شوماخر، الذي لعب الدور الأساسي في نجاح سيرة كوبينيك المهنية، ظهر في مسرح زيمبل وكان يبيع توقعاته نظير المال. وأحدهم كان يُدعى هانز بوتشيشير. في البداية كان نزيلاً دائماً، ثم مؤلف، وكان مشهورًا باسم: يواخيم رينجيلناتز.

وفي عيد ميلادي الخمسين أهدتني سيدة عجوز مقربة إلى قلبي كتابًا اسمه "الكتاب الذهبي لسرايب الموتى" (بالألمانية:

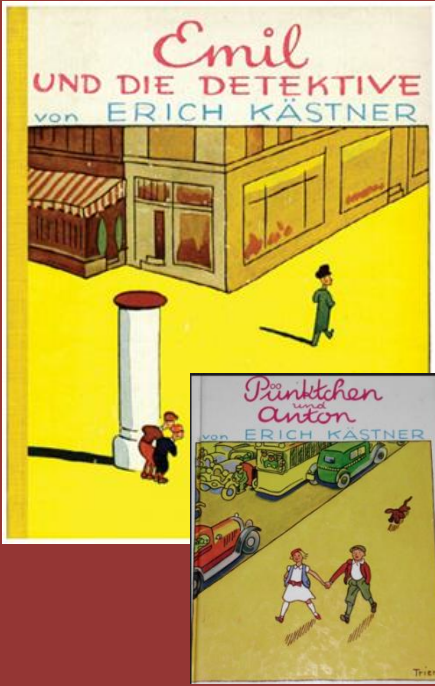
Goldenes Buch der Katakomben). فزوجها تيبور كاسيس الذي تُوفي منذ وقت طويل وفيرنر فينك قاما بتأسيس هذه المسرحية عام 1929 في برلين. في هذه الهدية الرائعة كانت هناك مقولة هزلية من تأليف يواخيم رينجيلناتز، وكانت تبدو مثل التوقيع الأصلي الخاص بوالتر ترير الذي رسم مضامين كتب إريش كاستنر. كانت توقعات ومقولات بخط كلاً من هانس ألبرز وكارل زوكماير، كلاوس وهابنريش مان، والتر هازين كليفيير وجورج جروسز، ماكس راينهاردت، إريش موهسام، جوستاف جرونننز، لويجي بيرانديللو وإروين بيكاتور وألفريد دولن وريتشارد هويزينبيك.

وجد الأخير صيغة الدادا الخاصة بالمسرح: "الدادا هي مسرح العالم، ومثلها مثل العالم هو الدادا". اخترع هوجو بول في



مسرحية تدعى "Cabaret Voltaire" في زيورخ هذا الشكل الأدبي باعتباره استفزازًا ضد لامبالاة العالم البرجوازي في مواجهة أهوال الحرب الكبرى. كورت توتشولسكي والثر ميهرينج كانا يُعدّان من أشهر كتاب المسرحيات بعد عام 1918: حيث كانا مؤرخين لجمهورية مهيمنة، وممثلان للسخرية الهجائية، إلى جانب أنهما كتبا أعمالاً شعرية وفكاهية جميلة لترفيه الجمهور المتابع لهما. أما بالنسبة لبيرت بريشت فكان المسرح بمثابة تحفيز لنظريته عن المسرح الملحمي. بفضل المربعات الشعرية للكوميديان أوتو رويتر والمقطوعات الموسيقية شانسون (Chanson) الخاصة بالموسيقار فريدريش هوليندر ورودولف نيلسون، التي غنتها نجوم من أمثال كليز والدوف ومارلين ديتريش، قدمت المسرحية عروضًا كبيرة ووقفت على خشبات ملاء كبيرة. فهي تجسد، في ميونخ، بصورة شعبية عبثية الكوميديان الساخر الوحيد

كارل فالنتين على الهيئة الحزينة. وفي عام 1932، أي قبل عام من تولي هتلر سلطة البلاد، يقف فيرنر فينك مبتسماً ومحرّجاً على خشبة المسرح ويتطلع إلى الأمام. وبدأ يتخيل ما الذي سيحدث إذا تولى النازيون زمام الحكم وتنبأ بما يلي: "في الأسابيع الأولى من بدء حكم الرايخ الثالث ستجري عروض عسكرية. وإذا ما أُعيتت تلك العروض لأي سبب من مطر أو بردٍ أو تلج، سيتم إطلاق النار على كل اليهود الموجودين في المنطقة." - هذه النكتة، أو النهاية، ستأتي قريباً لا محالة.



وعندما اعتلى النازيون العرش، حاول فينك معايشة تلك النكتة على أساس المقاومة. وقضى المئات من الفنانين المسرحيين والكتاب الساخرين الفترة المملكة المستمرة لألف عام في المعتقلات. ويُذكر هنا في هذا المقام الفنانون الذين مُنحوا وسام العمل المسرحي الساخر من أمام منزلي في ميدان ماينز رومانو غوارديني: إيريش موهسام، وفريتس جرونباوم، وكورت جيرون جميعهم قُتلوا في أورانينبورغ، وداكاو، وأوشفيتز.

وبعد 8 مايو 1945 بدأت نهضة حقيقية في العمل المسرحي. في أغنية "Trizonesien" يغني أحدهم بصورة جامحة وحزينة: نعم نعم نحن لا نزال على قيد الحياة. كما يضع مسرح الفنون الاستعراضية في دوسلدورف (بالألمانية: Kom(m)ödchen)، معاييرًا جديدة تلبّي المطالب السياسية الأدبية، فيبدأ إيريش كاستنر في الكتابة في ميونخ من جديد، وكان ظهور عمل "Insulaner" لصاحبها جونتر نويمان المسرحي الساخر هو الشرار الذي أجج اندلاع الحرب الباردة. فجسد فولفجانج نويس عواقب الكبت وسنوات الانتعاش الاقتصادي في الوعي الألماني ويحتفل من خلال خشبات مسرح الفنون الاستعراضية في ميونخ (Lach- und Schießgesellschaft) ومسرح (Stachelschweine) في برلين بليلة رأس السنة. ومن ثم توسعت دائرة المسرح ليضم جمهوراً برجوازيًا أوسع بمرور الوقت. ساعد التلفاز قديمًا في الترويج للمسرح السياسي وزيادة شهرته. كان المسرح يحاول أن يؤسس أرضاً لنفسه، بشكل أو بآخر، في ألمانيا الشرقية في ظل الرقابة الحقيقية السائدة وقتها. وذلك اقتناعًا منهم بأن الاشتراكية الاجتماعية أفضل. وهذا يُعد أمرًا

محزناً في حد ذاته. غنى المسرح من خلال الشاعر فرانس يوزف ديجينهاردت في ستينات القرن الماضي ضد عودة النازيين الجدد، وناهض جنباً إلى جنب مع المجموعة الموسيقية (APO) في فترة السبعينات القاسية، ويصف في النهاية هانس ديتير هوسيش في عمله هاغنوخ (بالألمانية: Hagenbuch) جميع البشر والأشياء بالمرضى والمجانين.

في ثمانينات القرن الماضي ظهرت حركة قوية في العمل المسرحي من خلال المجموعة الموسيقية "Drei Tornados" بفضل المسرح الارتجالي والبدل، وتوماس فرايتاج مخترع السخرية الحقيقية في عمله "في بلدنا هذا" (بالألمانية: in diesem unserem Lande) وكان له مع جيرارد بولت جذور عقلية واحدة، وكان يردد ريتشارد روجلر صدى الحرية الروحية المعنوية في الأعمال التهامية وينقب عن السوق الجديد بفضل ظهور القنوات الخاصة بشكل متزايد مع مرور الوقت. ومنذ ذلك الحين كان يتقلب العمل ما بين الكوميديا والمسرحية، وبين العمل السياسي الموجه والحرص بصورة كبيرة للربح، وبين مسارح الفن الصغيرة الألمانية وبين الساحات الكبيرة. "النكتة، السخرية، التهكم والمعنى الأعمق"، هذه هي العوامل التي أرادوا تغيير معالم المسرح بها، وابتعدوا أكثر من مئة عام فيما بعد عن كافة قوانين العمل الترفيهي بصورة متزايدة. لقد تغيرت معالم البلد. النقلة النوعية حدثت في كل مكان. ولكن الأمر دومًا هكذا، على مدار العصور والأزمان. كل شيء له نقطة بداية، ومرحلة انتقال، ومسار دائم بعد ذلك. وفي مرحلة ما يكتسب تاريخًا ثقافيًا يمكنني تسجيله لإثراء العمل المسرحي. أي: أهلاً وسهلاً بكم! مرحبًا! حُببتم بالخير! ألق نظرة. خذ وقتك. احجزوا نسختكم الآن. زوروا الآن. نتطلع لرؤيتكم!

فريق عمل المؤسسة الألمانية لأرشفة الأعمال المسرحية

